مقاييس الشخصية

مستوى الطموح

بقلم اسحاق رمزى

تمهيد : من العسير أن يلقى المرء ولو لمحة خاطفة على مختلف النظريات والمذاهب التى تعرض لدراسة الشخصية وأن يتتبع تاريخها وتطورها ، فبعضها يرتد إلى زمن يسبق علم النفس كما نعرفه اليوم ، كما أن ما كتب ونشر فى هذه الناحية يفوق الحصر والتعداد . ويكفى أن نشير إلى أن «روباك» خصص مجلداً بأكمله لمراجع كتابه عن « سيكلوجية الخلق »[1] ، وإلى أن كتاب « سيمونز » فى « تشخيص السلوك والشخصية »[2] يعرض الطرائق الحديثة لدراستها فيما يناهز الستمائة صفحة ، مع أنه قد صدر منذ خمسة عشر عاما فلم يتضمن بطبيعة الحال ما استحدث بعد ذلك من تجارب واختبارات . ورغم هـذا يمكن أن نحاول تلخيص التيارات المختلفة لهذه الدراسة فيما يأتى :

١ — تحليل الخلق فى كتب الأدب وما يقرب منها ، ولهذا تاريخ طويل يبدأ من ثيوفراست وأرسطاطاليس حتى روائع الأدب الحديث فى قصص بلزاك أو ديكنز أو إبسن أو پروست .

٢ — سيكولوجية الأمزجة ، من القول بالأخلاط الأربعة وما يقوم عليها من مزاج دموى أو سوداوى أو غضبى أو لمفاوى — حتى دراسة الغدد فى العصر الحديث

---

(١) A. A. Roback: The Psychology of Character, 1927

(٢) P. Symonds: Diagnosing Personality and Conduct, 1931

٣ — علوم الفراسة التى عرفت منذ أيام الإغريق وألف فيها العرب[١] — حتى الدراسات المعاصرة فى هذه الناحية وأخصها بحوث كرتشمر فى « البدن والخلق »[٢]

٤ — التيار الخاطىء الذى انتشر فى القرن التاسع عشر بدراسة مناطق الجمجمة وتقسيم المخ إلى أقسام يتصل كل منها بملكة خاصة . ورغم أن « الفرينولوجيا » كانت أسوأ الأخطاء التى وقع فيها علم النفس ، إلا أن هذه الدراسة أدت فيما بعد الى البحث فى الفروق الفردية .

٥ — دراسة الوجدانات والعواطف التى دعا اليها « ستوارت ميل » وأطلق عليها اسم Ethology ، وقول « شاند » بأن العواطف هى أهم أسس الخلق ، هذا إلى نظريات « مكدوجل » التى لايزال كثير منها قائماً .

٦ — الدراسات المعاصرة التى تقوم على الملاحظة والتجريب والإحصاء ، والتى تحفل بها الكتب والمجلات السيكلوجية مثل اختبارات « رورشاخ » و « مستوى الطموح » و « التقدير الجمالى » . وغير ذلك : وهذا التيار الأخير هو ما سوف نقتصر عليه فى المقالات المقبلة التى نرجو أن نوافى بها قراء « مجلة علم النفس » .

* * *

تقوم دراسة مستوى الطموح على البحث فى أثر النجاح والفشل وفى علاقة كل منهما بأهداف الشخص ، ويقال إن هذه الطريقة تبشر بنتائج طيبة فى دراسة الشخصية دراسة تجريبية . ويلتزم مختلف الباحثين فيها أسلوبا يقوم على تكليف الشخص المختبر بمهمة معينة ومطالبته بتقدير ما ينتظر أن يصل إليه من توفيق فيها خلال محاولاته المتتابعة للقيام بها .

ويمكن أن يتتبع المرء دراسة أثر النجاح والفشل وعلاقة ذلك بخلق الشخص

---

(١) راجع تاريخ علوم الفراسة عند الإغريق والعرب ، وكذلك النص العربى والترجمة الفرنسية لكتاب الفراسة لفخر الدين الرازى فى كتاب الدكتور يوسف مراد :

Youssef Mourad : La Physiognomonie arabe et le " Kitâb al-Firâsa " de Fakhr El-Din Al-Râzi. Paris, Geuthner, 1939.

E. Kretschmer: Physique and Character, 1921

(٢)

فى نظريات فرويد وأدلر ومكدوجل . ورغم هذا فإن الأبحاث التجريبية التى تتصل بهذه الناحية بدأت بفضل تلاميذ ليفين Lewin ولا يزالوا يقومون بها على هدى نظرياته التى تتصل عن كثب بمدرسة الجشطالت .

وأول ما ورد مصطلح « مستوى الطموح »[١] فى ما نشرته ديمبو Dembo حين بدأت بارتياد هذه الناحية من نواحى علم النفس فحاولت أن تثبت إمكان دراسة بعض المسائل المعقدة ، كالنجاح والفشل والتعويض والصراع ، دراسة تجريبية[٢]

وقام هوپى Hoppe (١٩٣٠) بدراسة علاقة النجاح والفشل بمستوى الطموح الذى عرّفه بأنه «أهداف الشخص أو غاياته أو ما ينتظر القيام به فى مهمة معينة»[٣] وكان هوپى يعطى من يختبرهم عدة واجبات بسيطة و يدرس تغير مستوى طموحهم بعد كل محاولة فيها . وقد قرر نتيجة للتجربة التى قام بها أن مستوى الطموح يميل إلى الارتفاع عقب النجاح وأنه يميل إلى الهبوط عقب الفشل ، وقال إن الشخص يعتبر ما قام به نجاحاً أو فشلا لا وفقاً لحسب لمقدار إجادته فى الواقع بل بالاعتماد أيضاً على مدى اقترابه من المستوى الذى كان يطمح إليه . فالشخص يشعر بالفشل إذا كان ماحققه أدنى مماطمح إليه ، و يشعر بالنجاح إذا كان عمله قد وصل أو فاق ما كان يطمح إليه . وحاول هوپى أن يدلل أيضاً على أن الشعور بالنجاح أو الفشل يقتصر على منطقة محدودة من الصعوبة أى أن المرء لايشعر بهذا أو ذاك إذا كانت المهمة التى هو بصددها مسرفة فى الصعوبة أو مسرفة فى السهولة .

ويزعم هوپى أن مستوى الطموح يمكن أن يكشف عن الفروق الفردية . وقال لتأييد ذلك بفكرة « مستوى الأنا »[٤] . الذى يشمل أهداف الفرد جميعاً و يتحكم فى أية مهمة كبرت أو صغرت يحاول الفرد أن يقوم بها . على أنه يبدو أن هوپى قد

---

(١) Level of Aspiration.

(٢) *Cf.* Lewin, A Dynamic Theory of Personality 1935. Ch. VIII

(٣) *Cited in* Murray et al., Explorations in Personality, 1938. p. 461.

(٤) Ego-level

عجز عن التفرقة بين الأهداف الواضحة و بين الأهداف الخافية أى بين الأهداف التى يمكن أن يدركها الشخص والأهداف التى تختفى ضمن أنواع معقدة من النشاط يخفى عليه ، هذا إلى أن طريقة بحثه كانت تقتصر على الكيف فلم يعالج نتائجها أو تحللها تحليلاً كمياً ، هذا إلى أنه عجز أيضاً عن دراسة أثر الواجبات المختلفة أو التعليمات المختلفة فى تغيير مستوى الطموح .

واقتصر هاوسمان Hausmann (١٩٣٣) على استخدام هذه الطريقة لدراسة بعض سمات الشخصية فغيرت التعليمات والواجبات ، وحاول أن يربط بين نتائج الاختبار و بين بعض سمات الشخصية كالمثابرة أو عدم الاستقرار . غير أنه يؤخذ عليه أيضاً أن بحثه اقتصر فى غالبه على الكيف .

وواصل البحث بعد ذلك فرانك (١٩٣٥) ، وحاول أن يعتمد فيه على الدراسة الكمية . ووضع مستوى الطموح تعريفاً جديداً — استوحاه من المنطق العملى Operational Logic فقال إنه — «مستوى الإجادة المقبل — فى واجب مألوف — الذى يأخذ الفرد على عاتقه الوصول إليه بعد معرفته مستوى إجادته من قبل فى ذلك الواجب»[1] . وقد استخدم فرانك طريقة أكثر دقة وضبطاً يمكن أن تؤدى إلى التقنين والدراسة الكمية ، فكان يعطى الشخص واجباً يتضمن تكرار أعمال بسيطة — مثل طبع كلمات ، مقننة من حيث الصعوبة ، باستخدام آلة للطباعة باليد وكانت جودة كل محاولة تقدر تبعاً لعدد الثوانى التى تستغرقها . وكان يخبر الشخص بعد كل محاولة بعدد الثوانى التى استغرقها للانتهاء من طبع الكلمة أو العبارة و يطلب إليه أن يعين عدد الثوانى التى ينتوى الانتهاء بعدها من محاولته التالية .

وكان فرانك يقدر نتائج الاختبار على ضوء أمرين : الأول هو متوسط الفرق بين مستوى الطموح ومستوى الإجادة والثانى جمود مستوى الطموح . وهو يزعم أن متوسط الفرق هو مقياس مباشر لارتفاع الطموح وأنه يكشف عن الفروق الفردية

(١) Frank: Individual differences in certain aspects of the level of aspiration. American Journal of Psychology, 47, 1935, p. 119

فى الشخصية . وقد وافق على ما قال به « هوپى » من أن الفرق بين مستوى الطموح ومستوى الإجادة يعتمد على ثلاثة عوامل : ١ — الرغبة فى وضع مستوى الطموح على أقرب ما يمكن من مستوى الإجادة ، ٢ — الرغبة فى رفع مستوى الطموح عن مستوى الإجادة ، ٣ — الرغبة فى تجنب الفشل الذى يشعر به المرء إذا كان مستوى إجادته أدنى من المستوى الذى طمح إليه . وتكشف هذه العوامل كلها ميل « الأنا » إلى الارتفاع والتفوق .

ويمكن أن نلاحظ ، عابرين ، أن فرانك فى تعريفه لمستوى الطموح قد ابتعد عن الآمال والرغبات الخافية التى كان « هوپى » يلتمس الكشف عنها . وأن فرانك لم يفطن تماماً إلى أن العوامل الواضحة التى كان يدرسها ليست هى بالضرورة نفس العوامل الخافية التى يتضمنها مايمكن أن نطلق عليه « مستوى الأنا » . وأن الاختبارات التى استخدمها والنتائج التى وصل إليها يمكن أن يدخل فيها كثير من العوامل التى لا يمكن ضبطها أو الكشف عنها . هذا إلى أن أغلب التجارب التى قام بها كانت على عدد قليل من الأشخاص وأن النتائج التى وصل إليها لايمكن إثباتها إثباتاً كافياً بطرق الإحصاء .

وحاول يوكنات Jucknat (١٩٣٧) أن يصلح الطريقة بإعطاء المختبر فرصة الاختيار بين عدة مقاهات . وهو يزعم أن النتائج التى وصل إليها تدل على أن النجاح أو الفشل فى أحد الميادين قد يؤثر على مستوى الطموح فى ميدان آخر ، إذا كانت هناك علاقة وثيقة بين كلا الميدانين ، وإذا لم يكن مستوى الطموح فى الميدان الثانى ثابتا ثباتاً تاماً .

وقد اتضحت بعض العوامل التى تؤثر على مستوى الطموح بما تلا ذلك من الأبحاث الأخرى . إذ تبينت أهمية العوامل الاجتماعية بعد البحث الذى قام به تشابمان وفوكمان Chapman & Volkmann (١٩٣٩) ، فقد أثبتا أن معرفة ما وصل إليه الآخرون فى اختبار ما ، قد تؤثر أثراً واضحاً على طموح الشخص المختبر . كما بحث أندرسون و براندت Anderson & Brandt (١٩٣٩) أثر الخبرة السابقة

فاختبرا مستوى الطموح فى فئة من الأطفال الذين كانوا يعرفون مقدار إجادتهم من قبل . بل كانوا يستطيعون مقارنتها بما فعله زملاؤهم فى الفصل . وظهر نتيجة لهذه التجربة أن مستوى الطموح فى هذه الظروف كان يميل إلى الاتجاه نحو مستوى متوسط .

ومع أن جاردنر Gardner (١٩٤٠) قد اقتصر على دراسة الأهداف الواضحة فإنه لم يجد أية علاقة بين متغيرات عناصر الشخصية كما نقيسها بمقاييس التقدير وبين النتائج التى حصل عليها خاصة بمستوى الطموح .

و بحث إروين ومنيتزر Irwin & Minitzer (١٩٤٢) أثر التعليمات التى تلقى على الشخص قبل إجراء الاختبار ، فقررا أنه قد نتج عن تغيير التعليمات اختلاف كبير واضح بين النتائج ، فقد كانت مستويات الطموح إذا طلب من الشخص تقدير ما « يأمل » تحقيقه أعلى بكثير منها إذا طلب منه تقدير ما « ينتظر » الوصول إليه .

* * *

يبدو من هذا كما يقول روتر Rotter [1] أن الباحثين قد يعرضوا لمستوى الطموح من عدة نواح : بحثوا فيه كمعنى مجرد أو فكرة عامة ، أو بحثوا فيه من حيث أنه صفة من صفات الأفراد ، أو بحثوا فيه كنوع من الاستجابة فى بعض التجارب . ويلوح أنه ليس هناك ما يربط بين هذه الدراسات جميعاً سوى هيكل التجارب والاختبارات التى يتبعونها و يعملون على تحسينها .

غير أنه من الواضح أن الفكرة الأساسية التى أوحت بهذه الدراسات المختلفة قد أشيعت بالغلطة الشائعة التى تعيب كل « مدرسة » من مدارس علم النفس الحديث وهذا الخطأ الذائع هو البدء بحكم سابق أو الاستمساك بفكرة واحدة ومحاولة تفسير كافة وجوه النشاط الإنسانى على ضوء هذه الفكرة أو ذلك الحكم . وهنا يبدو أن كافة من بحثوا فى مستوى الطموح يؤمنون إيماناً صريحاً قوياً بأن الباعث الوحيد

(١) Rotter. Level of Aspiration as a Method of Studying Personality. Pscyhol. Review 49, 1942. p. 464.

على النشاط هو إرادة القوة واعتبار الذات . لكن هذا المبدأ أمر واضح لا يحتاج إلى بحث أو استقصاء إذا ما قررناه أول الأمر ، بل هو من الأقوال الفضفاضة التى لايحق لنا أن نستخدمها فى الإيضاح والتفسير[١] . هذا إلى أنا لو قبلنا هذا المبدأ لوجب علينا أن نعمل على تحليله وتعرف مقوماته ودراسة الوجوه المختلفة التى يظهر بها أو يؤثر فيها .

وقد يقال إن بعض الباحثين قد حاولوا دراسة طبيعة المواقف المختلفة التى تحيط بالشخص أثناء القيام بالتجربة كما قام آخرون بدراسة الفروق الفردية وعوامل الشخصية التى يحتمل أن يكون لها أثر فى مستوى الطموح . غير أن الواقع أن الكثرة من أولئك الباحثين كانوا ينحون إلى قصر دراساتهم على البحث فى ارتباط مستوى الطموح بعوامل الشخصية التى تشتق على الأغلب من نظريات « المدرسة التحليلية » والتى كثر شيوعها كما تشيع لغات الإعلان عن السلع والبضائع . هذا إلى أن « محاولات التحقق من صحة هذه الآراء بواسطة طرق الإحصاء المألوفة لم تنجح سوى نجاح جزئى »[٢] .

بالإضافة إلى هذا لم نجد أحداً من الباحثين — على قدر ما تتبعنا تاريخ هذه السلسلة من البحوث — قد تعرض لدراسة العلاقة بين مستوى الطموح و بين العوامل البدنية . ولم نجد أن أحداً قد حاول دراسة ذلك المستوى فى علاقته بالقدرات العقلية أو نسبة الذكاء ، سوى سيرز Sears (١٩٤٠) فى تجربته المحدودة كما أن أثر العوامل الاجتماعية الكثيرة التى لاشك فى أن لها فعلها فى تحديد أهداف الشخص ، لم يدرس بعد دراسة شافية . هذا إلى أن أحداً لم يتعرض للربط بين مستوى الطموح و بين ميول الشخص وقدراته الخاصة ، أو يحاول دراسة ذلك المستوى بطريقة تستهوى الشخص المختبر .

ومن ثم يخيل إلينا أن الطرق التى استخدمت حتى الآن لدراسة مستوى الطموح يشوبها كثير مما يتعرض للتجريح والنقد ، كما أنها مثقلة بكثير من العوامل التى

(١) Allport: Personality , 1931 , p. 171

(٢) Frank: Recent Studies of the Level of Aspiration. Psychological Bulletin, 38, 1941. p. 222

لم يمكن ضبطها ، مما يؤدى إلى إتلاف « صحة » هذا الاختبار و يعيب صلاحيته لتقدير الشخصية . كما أن نتائج البحوث المختلفة فى هذه ليست كبيرة الدلالة و كثيراً ما تناقض بعضها بعضاً ، والطرق التى استخدمت مازال يعوزها كثير من الدراسة والتحليل قبل أن تصبح مقياساً نافعاً لبحث الشخصية .

لندن مايو ١٩٤٦

Summary

I. RAMZY : Level of Aspiration

Studies and tests concerning the level of aspiration are concisely reviewed and discussed. It is argued that the basic idea underlying them all is imbued with the prevalent error that is common to almost every school of modern psychology namely to start with one prejudice and to try to explain in its light all human activities. Here it is obvious that the basic idea is that the one important motive for activity is the will to power and self-esteem, while this is a self-evident principle and a psychological redundancy.

Some investigators tried to study the nature of situational factors and other individual personality factors that may influence the level of aspiration, but most of these investigators were inclined to confine their studies to the correlations with concepts derived mainly from psychoanalytic theories and used almost as 'slogans' without verification. Moreover none — as one could follow this series of studies — has studied relation between the level of aspiration and physical factors; none has tried to study it in relation to intellectual levels except Sears (1940); very little was done to determine the influence of the many social factors in setting up the individual's goals. And nothing has been done to detect the subject's interests and his specific abilities or to study his level of aspiration with a device that appeals to him.

The methods hitherto used to study the level of aspiration are obviously handicapped with so many uncontrolled factors that should undermine their validity as a means of assessing personality. The results obtained are not very significant and often contradictory. It seems that these techniques require a considerable amount of study and analysis before they can become useful in the field of investigating personality.

London, May 1946